

المصدر : الجزيرة  
التاريخ : 10-07-2006  
العدد : 12338  
الصفحات : 38  
المسلسل : 261

**عبدالله بن عبدالعزيز... هذا المنتهي إلى مستقبلنا  
(قراءة تأملية.. لواقع سعودي)**

مقدم د. عبدالله بن إبراهيم الخنيف



مقدم د. عبدالله الخنيف

(لا نميل إلى أن تتركز رسالتك حول زعيم وطني)... كانت هذه ملاحظة أستاذي الإدارة العامة والعلاقات الدولية بجامعة هاوارد بالعاصمة الأمريكية واشنطن، والتي وجهها لي قبل شروعي في بحث رسالة درجة الدكتوراه... كانت كلمتهما هذه بمثابة الدافع الجديد والمهم لأن أضعي قدماً لتحقيقي رسالة الدكتوراه الأولى بأسم خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز - أيده الله بنصره..



لم تكن إرادتي هذه تحدياً لرغبة البروفيسورين (جون ديفيس) و(ليزو موريس)، واللذان كنت ولا زلت أكن لهما وافر التقدير والاحترام... بل كانت إنصافاً لواقع لم يكن يعرفه حينها سواي... واقع أعبه جيداً، كما يفعل السعوديون جميعاً.. فنظرة السعوديين لقيادتهم.. تختلف من حيث المضمون والشكل عن نظرة سواهم من الشعوب الأخرى. وحتماً لا يدرك البعيدون عن الواقع السعودي - كبعض الغربيين أو غيرهم - خصوصية العلاقة الفريدة التي تربط السعوديين بقيادتهم.. العلاقة التي تزامن قيامها مع وضع اللبنة الأولى لهذا الكيان الكبير على يد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود - طيب الله ثراه - إذ قامت دعائم البناء الحضاري في هذه البلاد المباركة على أسس من القيم الخالدة، والمبادئ النبيلة، وتجلت بأدب في صور التلاحم الوثيق ما بين الحاكم والمحكوم، وحرص وامتثال الراعي بأحوال رعيته أينما وجدوا.

برزت كل هذه الأفكار والذكريات إلى ذهني بعد تأملي في جولة الخير الكريمة التي قام ويقوم بها مؤخراً خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز - حفظه الله - حول عدد من مدن ومحافظات بلادنا العزيزة والتي تعكس جانباً من هذه القيم الخالدة، وجانباً أصيلاً من تكوين المجتمع المسلم على هذه الأرض الطيبة منذ تأسيس المملكة على يد المؤسس الملك عبدالعزيز - رحمه الله - وحتى عهد خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز - حفظه الله - والتي تقوم على مبادئ التكافل والتكامل والمسؤولية، إضافة إلى كونها ترجمة واقعية متكررة لاهتمام خادم الحرمين الشريفين بمواطنيه، وسعيه الدائم نحو تلمس حاجاتهم عن كثب، واللقاء بهم، والاطمئنان عليهم، والوصول إليهم أينما كانوا، وذلك في أجل وأصدق صور المحبة والتراحم والتلاحم والتواد والولاء.

فما جولة ملك الإنسانية والخير مثقفاً ومستمعاً وموجهاً، وتواصله مع إخوانه وأمله ومواطنيه، والاستماع إليهم بكلماتهم وأصواتهم؛ إلا شواهد حية، مشاهدة وقريبة، على سمو نهجه المتبع في علاقته بأبنائه المواطنين، إذ هو القريب منهم، الملمس لحاجاتهم، المتصق بهمومهم..

(أقول بصدق وأمانة إننا معكم نعيش أمانيتكم وأحلامكم، فلم يبق لنا من أمل في شيء سوى خدمتكم والسير على راحتكم وتقدير أحوالكم أينما كنت في هذه البلاد في المدينة والقرية والصحراء)... (أود أن أذكر لكم أن الدولة منذ تاسيسها على يد الملك



خادم الحرمين الشريفين

عبدالعزیز - رحمه الله - لا تفرق بين منطقة ومنطقة فكل نرة من تراب الوطن غالية علينا وكل مواطن في هذا الوطن ابن عزيز من أبناءنا)..

أجل... قراءة بسيطة لأقوال الملك عبدالله بن عبدالعزيز، كفضيلة باستنباط دلالاتها العميقة، والمتضمنة - بوضوح شديد - اهتمامه البالغ بكل ما ينفع الوطن والمواطن.. إذ كان تلمس احتياجات المواطنين من أول اهتمامات الملك عبدالله بن عبدالعزيز - حفظه الله - إبان ولايته للعهد، ليبدأ عهده الزاهر الميمون بمبادرات لتحسين الأوضاع المعيشية لمواطنيه، وتيسير سبل العيش والحياة الكريمة..

ولقد لاحظنا جميعنا المشاعر الوطنية التي تجسدت في احتفالات المواطنين بزياراته الميمونة، ومظاهر الفرح والبهجة والفخر والاعتزاز التي عبروا عنها كافة، والتي هي ولا شك مناسبة غالية لتجديد البيعة والطاعة والولاء، وكذلك وهم يرون مدتهم ومحافظاتهم وقد مستها يد التطور والخير والنماء، وأخذت حظها الوافر من خطط التنمية والتحديث، وبثت في جنباتها حيوية العمل والتشديد والاستثمار والبناء، في نهضة حضارية تميزت بخصائص فريدة، أهمها الحفاظ على خصائص المواطن السعودي المميزة، ليظل مستمسكاً بعقيدته، مرتبطاً بقيمه الإسلامية والعربية.

وفي واقع الأمر إن إنجازاته - أيده الله - وعطاءاته المتواصلة، ومواقفه الإنسانية النبيلة من الكثرة والاتساع بحيث يتعذر تعدادها، وهي حقائق ملموسة ومحسوسة، ولن أتحدث عنها، فهي قائمة شامخة تتحدث عن نفسها، وأصبح أبناء هذه البلاد يتمتعون بكل خيرات وميزات الواقع المعاصر. وقد لا يتسع المجال للحديث بلغة الأرقام والإحصائيات التي تجسد اهتمام القيادة بكل ما يهم الوطن والمواطن.

إن لخادم الحرمين الشريفين أسلوب مميز وفلسفة عميقة تستطيع أن تراها خلال لقاءاته الكثيرة المتواصلة مع مواطنيه أو بخطاباته وكلماته وأحاديثه لوسائل الإعلام المختلفة داخل المملكة وخارجها، وحياته مليئة بالمواقف الحكيمة، واللحاحات الإنسانية، ومواقفه في هذا الشأن معروفة للجميع.. وهي غالباً ما تتردد في أحاديث المواطنين والمواطنات.. إلا أن مما يحزن في نفوسنا جميعاً، افتقار المكتبات في الداخل والخارج لإصدارات تتناول الملك عبدالله وإسهاماته الجليلة، إذ لم تستوف إلا القليل من المسيرة العطرة للملك الخير والإنسانية.

قال لي أكاديمي أمريكي بعد إطلاعه على ملخص بحث الرسالة (أنت تنحاز إلى الملك عبدالله... لأنك سعودي).. فكان من الضروري أن أرد عليه بلسان غير سعودي، إذ استشهدت بشاهد من أهله.. مستحضراً رأي الفكرة الأمريكية (تاتانا ديولوج (باس)، والوارد في تعليقيها على مبادرة خادم الحرمين الشريفين للسلام (مبادرة العرب الأهم من وجهة النظر الغربية)، حين قالت: شخصية الملك عبدالله بن عبدالعزيز وإيمانه ومكانته ومصداقيته.. هي من أضفت - أكثر من أي شيء آخر - الأهمية الكبرى على مبادرته للسلام التي أصبحت مبادرة العرب أجمع... وحشدت التأييد الكبير لها.